نـافـذة

الحظّ والفرصة

يسود عليهما الإنصاف، الذي هو حاصل مهما امتدّ الوقت، أبدأ بهذا لأقول: إن المعوّل عليه أن الإنسان يسبك قالب حظه بيديه، ومن فكره المستجيب للنجاح أو المتمترس خلف السكون، ما يؤدي إلى الفشل، ففي يد الإنسان أن يؤسس حظه ويشيد بناءه، حيث لا يقدر أحد على نكرانه.

إن كثيراً من الأحداث في مسيرة الحياة ترجع إلى الحظ والمصادفة، كالحظوة والفوز بالفرصة وترجّل الآخرين بشكل مفاجئ، وتوافق الأحوال، وسقطات البعض، أو تأخرهم عن الركب، فلم يحدث قط أن أحداً علا فجأة أو بالتسلسل أو الامتياز، إلا من جراء زلة يجترحها غيره، والمثل الصيني يقول: إن الحية لا تصبح تنيناً إلا بعد أن تبتلع حية أخرى، وإن الإنسان الجيد خليق حيثما ولد في بيئات الحياة، أن ينشئ له سمعة حسنة وذكراً طيباً ومكانة مرموقة، هذه الصفات التي لا تحضر إلا بالعمل الجيد والتمتع بالأخلاق الإنسانية والاجتماعية، مع توافر التراكم العلمي أو الفهمي لحركة مسيره، ولغته التي تنبئ عن متحدثها، فإذا كانت خادعة فإنها ستكشف، حتى وإن سارت ألف ميل، وإن كانت صادقة وصلت بأسرع من الريح، وإن سادها الانتظار فإنما تكون في حالة مراقبة سقوط أحد ما من تخصصه ليعتلي وكما أشرت مكانه أو مكانة ما، فالمناقب الظاهرة تمنح لصاحبها المدح والثناء، والحقيقة المؤكدة تكون في جوهره، لأنها وحدها تعبر آجلاً أو عاجلاً عن جوهره.بالتبصر نرى أن الحظ العجل يخلق للإنسان المغامر بجزأيه الذكر والأنثى قلقاً من خلال تداوله الفكري لأطماعه، أما الإنسان الركين فإنما الحظ آت إليه لا محاله، ويختاره عن دونه، ولو سألت أياً ما، أو ليسأل كلٌ منا فكره، أو يجري حواراً مع ذاته، فسيعلم أن أحداً ما ساعده خفية عبر القوى الخفية، أي الحق المسهل له عبر شهوده، ليتركه في حالة تفكر مع ذاته ومع الحياة وعلانية، عبر المنصفين المخلصين للواجبات الأخلاقية إذا دفع أو ابتز أو انتهز فرصة ليست له، ومآله السقوط المؤكد ولو بعد حين.

الحظ أو أبواب السعد يمثل الصيد والصياد، فهل أجدنا الصيد، حتى وإن كان في المياه العكرة؟ وهل مسألة الحظ والفرصة تخضعان لمسألة التسيير والتخيير؟ أم إنها قضايا اجتهاد وصدق وأمانة وعلم ومعرفة ومتابعة البشر لبعضهم، بحكم قواهم المتناقضة، ومنحهم لبعضهم الحظ والفرص.

لنراجع أنفسنا سائلين إياها: هل من أحد لم تأته الفرصة، وحالفه الحظ قليلاً أو كثيراً؟ تفكروا في ذلك، وأيضاً بعلاقة الطمع والجشع البشري الذي يطور الفرصة أو ينهيها، لأن الأيام كما شهدتها تسر حيناً وتسوء أحياناً، والفرصة تحضر بين شخصين، في حالة التنافس يصنعها الباحث عنها اغتصاباً بالهيمنة أو الوساطة الداعمة على اختلاف أشكالها، أو نتاج جهد صادق يؤيده الحظ، أما فاقدها فقد أوجد لهم الفكر الديني فكرة المخلص المنصف في المستقبل، هذه الفكرة التي وجدت من أجل قليلي الحظ وفاقدي الفرص، هؤلاء الذين سكنتهم من عودة ميسايا أو مشياح التوراتية، إلى عودة السيد المسيح المنتظرة، وصولاً للمهدي المنتظر، كي يبقى لديهم أمل في الحياة، وأن الإنصاف قادم لا محالة، وسكنت عقول البسطاء والفقراء ومريدي الأديان، فهي أي الفكرة جزء من المهدئ والصبر على الحياة التي يعبرونها، من دون أن يأتي أحد، ويتوارثونها منذ آلاف السنين، وفي حقيقة الأمر إنها فكرة جيدة لأولئك المنتظرين، بينما الإنصاف موجود في الدنيا، ومن دونه لأكلت البشرية بعضها، والآية الكريمة تؤكد ما نسير إليه (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب)، وكثيراً ما ندعو بعضنا لانتهاز الفرصة، ونقول هذه فرصتك، تقدم ونلها من دون أن ندرك أنها فرصة شريفة أمينة، لا تؤذي الآخر، أو أن يتجاوزها من دون أن يراها، فلا يكون لها منها فوز.هلّا نتفكر في ذلك؟ فالفرصة ليست دولاب حظ، ولا الحظ دولاباً للجاهل أو للجشع، لأن متطلبات الفرصة والحظ الأمانة والإخلاص في ما يراد، واختيار الطريق السديد وصولاً للهدف المرئي من بعيد.

هل يمكن لأي كائن فهم فلسفة الحظ والمصادفة؟ مؤمناً كان أو مؤدلجاً، وتوافر الفرص أو فقدها، وأقول لا بد من مرور أي إنسان من الفرصة، فإذا التقطها أخذت به، ويكون بها، وإذا فقدها بالخطيئة أو بالتكاسل جعلته يندب حظه.

إن أخطر ما يصيب أي مجتمع يتجلى في إحساسه بأن لا أمل له في الإنصاف وانعدام فرص الأمل بالعمل على الكفاءة وتعلقه باليانصيب ودواليبه، وهذه وحدها كافية لتحويل أي مجتمع إلى فاشل وضعيف ومهزوم، ما ينشئ لديه الجريمة والتشدد الديني والانفلات، فالحياة إذا غارت بصاحبها الإنسان بعد أن يتردد في فعل عليه أن يقوم به وتملكته الحيرة، تراه ضائعاً بين الجدب والأنانية، وإذا عقد العزم على النجاح، واتخذه هدفاً، وعمل له بجد، فتحت له سبل الحياة، ليجتمع فيها الفرصة مع الحظ، إنسان محظوظ يقابله إنسان منحوس، فهل هناك أيام سعد وأيام نحس؟ يرافق الحظ الناجح حسد الفاشل، ويسير الحسد بحامله إلى الفقر والإجرام بكل أشكاله، والحظ فرصة تصيب الندرة سالبة كانت أم إيجابية، وندرتها تؤدي إلى فصل المجتمع إلى أعلى مسيطر وأدنى منتظر، والسبب انعدام مبدأ تكافؤ الفرص، وعدم وجود مبدأ العدالة الاجتماعية الذي يطرح شروطاً متساوية في إعداد بناء المجتمع للحياة العامة، التي بها تسير الدولة، من دون خلل، وتريح توجهاتها، وبها تشد أزرهم، وتكون قادرة وبقوة على إخضاع الأهواء الفردية العنصرية أو الطبقية للمصلحة العامة، لأنها اليوم وحدها صاحبة السياسات العامة والخاصة، وإذا حللنا فلسفة الحياة لوجدنا أن النبوات ظهرت وولدت وأقفلت رغم عتب البعض، الذين اعتبروها أنها لم تقفل من أجل العدالة الإنسانية.استطلعت أحوال البشر فدعت لإنصاف المظلوم، وجذبت البسطاء والفقراء، ونصحت الأغنياء بالتواضع، ومنها أنشأت في فكر الأغنياء الرحمة والتسامح، وجعلتهم يتجولون بين الناس وفي الأسواق لتحقيق العدالة الاقتصادية ولو بالحد الأدنى، وسار ذلك إلى زمن طويل، إلى أن قبضت السياسة على كل شيء، وظهر الساسة الذين حملوا عبء كل ذلك.

مؤكد أن فكرة الحظ لا تخفى على المبصرين، وأن سبلها تشبه نجوم درب التبان في السماء، الذي يظهر كرسيه لمن يراه، وبعدها يسمح بالحلول عليه، هذا لا يحصل إلا بعد وصوله إلى النجاح المنشود، الذي لا تخيب فيه سهامه، ويكون قد ظفر بمسحة من الجنون والمجون، مع كثير من الصدق والأمانة، وهذا يتطلب بصيرة نيرة، وأفكاراً راشدة، واستشارات ناصحة، فالإنسان الذي يتعلق بأفكار غيره لا يصل إلى غايته، ويتوه بين منهجه وصوابه، والتسويق لفكرة الحظ شائع جداً بين البشرية وقديم وجودها، والفرق بينه وبين الفرصة يحتاج للاجتهاد والعلم والنخوة، لكن إن لم تسرع إليها فقدتها، وهيهات أن تعود، لأنها تطرق بابك وأسماعك، وتكون أمامك، فإن لم تبادر إليها غادرتك بكونها لا تمتلك عامل الانتظار.

القادرون على التسامح أدركوا قيمة وقوة الفرصة والحظ، لذلك نجدهم الأقدر على الرؤية ومنح المخطئين الفرص وإعادتهم إلى بناء وجودهم، فالاستماع إلى الآخرين بعقلانية يولد الفرص والحلول للخروج من المآزق والأزمات، فهل نستمر في ذلك؟ أم إننا مصرّون على إضاعة الفرص؟ ما يؤدي إلى استهلاك مجتمعاتنا، وإبقائها في حالة تخلف، والساسة مع الأئمة والتجار قادرون على تحقيق العدالة وتحويل الفرص إلى توازن اجتماعي، والحظ إلى رؤى أخلاقية، لا انتهازية فيها ولا تكبر ولا تسلط.

د.نبيل طعمة

حلب في ضمير المبدعين وذاكرة الشعراء

ألهمت شكسبير وتغزل بها المتنبي وتغنى بها نزار قباني واستذكرتها أغاثا كريستي وزارها ابن بطوطة

وائل العدس

لم ولن يكون شهر شباط الحالي كأي شهر آخر، بعدما شهد تحرير حلب الشهباء من دنس الإرهاب، في انتصار كبير تحقق بفضل تضحيات بواسل الجيش العربي السوري الذين أعادوا الأمن والأمان.

ولا شك أن انتصار جيش الوطن، وتوسيع مساحة الأمان لمدينة حلب وإعادة فتح طريق دمشق حلب الدولي تطبيق عملي لإرادة وعزم وثبات قيادة وشعب وجيش سورية والإصرار على تحرير كل شبر من تراب الوطن.

حلب والشعر

حلب كانت ملهمة الأدباء والشعراء، فسكنت ضمائرهم ومشاعرهم، وحضنت الشعر، وألهمت أعظمهم.

وتعتبر حلب حضارياً من أهم مدن العالم قاطبة وأقدم مدن الشرق والغرب التي لم تزل قائمة حتى يومنا هذا، كما تعتبر مدينة عريقة في الأدب والشعر ومدحها الكثير من الشعراء، وفيها ترعرع أعظم شعراء العرب.

العصر القديم

لعل أشهر قصيدة كانت للمتنبي أعظم شعراء العربية، في وصف حلب «ما لنا كلنا جو يا رسول» ويقول فيها بيته الشهير:

لا أقمنا على مكان وإن طاب
ولا يمكن المكان الرحيل
كلما رحبت بنا الروض قلنا
حلب قصدنا وأنت السبيل
فيك مرعى جيادنا والمطايا
وإليها وجيفنا والذميل

وقال أبو فراس الحمداني مادحاً شهباء:

سقى ثرى حلب ما دمت ساكنها
يا بدر غيثان منهل ومنبجلس
أسير عنها وقلبي في المقام بها
كأن مهري لثقل السير محتبس
هذا ولولا الذي قلب صاحبه
من البلابل لم يقلق به فرس
كأنما الأرض والبلدان موحشة
وربعها دونهن العامر الأنس
مثل الحصاة التي يرمي بها أبداً
إلى السماء فترقى ثم تنعكس

كما قال فيها البحتري ابن منبج وأحد أشهر شعراء العصر العباسي:

أمرر على حلب ذات البساتين
والمنظر السهل والعيش الأفانين
لكن أكثر من امتدح حلب كان شاعرها أبا بكر محمد بن الحسن، المعروف بالصنوبري:
سقى حلب المزن مغنى حلب
فكم وصلت طربا بالطرب
وكم مستطاب من العيش لذ
بها إذ بها العيش لم يستطب
إذا نشر الزهر إعلامه
بها ومطارفه والعذب
غدا وحواشيه من فضة
تروق وأوساطه من ذهب

وله قصيدة طويلة مطلعها: «احبسا العيس احبساها.. وسلا الدار سلاها»، أجاد بها ووصف منتزهاتها وقراها القريبة منها، وأوردها ياقوت الحموي، في «معجم البلدان»، كاملة.

وقال بها الشاعر الفارسي كشاجم الذي استقر في حلب بعد تنقله في عدة مدن عربية:

أرتك ندى الغيث آثارها
وأخرجت الأرض أزهارها
وما أمتعت جارها بلدة
كما أمتعت حلب جارها
هي الخيد يجمع ما تشتهي
فزرها، فطوبى لمن زارها

أما أبو العلاء المعري ابن إدلب وشاعر العصر العباسي، فقد رأى أن حلب علاج ودواء، فقال، في «رسالة الغفران»:

يا شاكي النوب انهض طالبا حلبا
نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس
واخلع إذا حاذيتها ورعا
كفعل موسى كليم الله في القدس

كما وصفها:

حلب للوارد جنة عدن
وهي للغادرين نار سعير
والعظيم العظيم يكبر في عينه
منها قدر الصغير الصغير

وحتى مؤسس الدولة الأيوبية صلاح الدين الأيوبي تغزل بها قائلاً:

إذا حلب وافيتها حيّ أهلها
وقل لهم: مشتاقكم لم يهوّم

ووصل صيت حلب إلى غرناطة، فقال بها أبو الحسن الغرناطي:

حلب أنها مقر غرامي
ومرامي وقبلة الأشواق
وعلو الشهباء حيث استدارت
أنجم الأفق حولها كالنطاق

الشعر الحديث

أما في الشعر الحديث، فقال عنها الشاعر السوري الكبير نزار قباني:

كل الدروب لدى الأوروبيين توصل إلى روما
كل الدروب لدى العرب توصل إلى الشعر
وكل دروب الحب توصل إلى حلب
صحيح أن موعدي مع حلب تأخر ربع قرن
وصحيح أن النساء الجميلات لا يغفرن لرجل
لا ذاكرة له ولا يتسامحن مع رجل لا ينظر
في أوراقه الروزنامة
ولا يقدم لهن فروض العشق اليومي
كل هذا صحيح ولكن النساء الجميلات وحلب
واحدة منهن
يعرفن أيضاً أن الرجل الذي يبقى صامداً في نار العشق
خمسا وعشرين سنة ويجيء ولو بعد خمس وعشرين سنة
هو رجل يعرف كيف يحب ويعرف من يحب
ربما لم أضع حلب على خريطتي الشعرية
وهذه إحدى أكبر خطاياي ولكن حلب كانت دائماً
على خريطة عواطفي وكانت تختبئ في شراييني
كما يختبئ الكحل في العين السوداء
وكما يختبئ السكر في حبة العنب
واليوم تتفجر الحلاوة كلها على فمي
فلا أعرف من أين يبدأ الشعر ومن أين
يبدأ النبيذ ومن أين تبتدأ الشفة
ومن أين تبتدأ القبلة
ومن أين تبتدأ دموعي
ومن أين تبتدأ حلب
لا أريد أن أتغزل بحلب كثيراً
حتى لا تطمع
ولا أريد أن أتكلم عن الحب
بقدر ما أريد أن أحب
كلماتنا في الحب تقتل حبنا
إن حروفنا تموت حين تقال
كل ما أريد أن أقوله إن حب النساء
وحب المدن قضاء وقدر
وها أنذا في حلب
لأواجه قدراً من أجمل أقداري

أما «شاعر الحب والهوى» و«شاعر الصبا والجمال» الأخطل الصغير وصف حلب، قائلاً:

نفيت عنك العلة والظرف والأدبا
وإن خلقت لها أن لم تزر حلبا
لو ألف المجد سفرا عن مفاخره
لراح يكتب في عنوانه حلبا

وتغنى بها الشاعر اللبناني خليل مطران:

أي هذه الشهباء
والحسن في ذلك الشهب
حبذا في ثراك ما
فيه من عنصر الشهب
ذلك العنصر الذي
ظل حراً ولم يشب
عنصراً قد أصاب منه
ابن حمدان ما أحب
وبه «أحمد» ارتقى
ذروة الشعر في العرب

كما قال الأديب اللبناني جبران خليل جبران فيها:

ضاق بالسرعة الفضاء
ولم يبق مغترب
يدرك الشأو أو يكاد
متى أزمع الطلب
أرز لبنان هاكسة
حلب هذه حلب

وقال بها:

ما الذي أنجبت حلب
من جمال هو العجب
ومن اللطف والحجي
ومن الظرف والأرب

وجع حلب

كان أبرز ما استحضرت به حلب في الوجع، قصيدة محمود درويش المطولة الشهيرة: «مديح الظل العالي»، والتي قال بها:

قصب هياكلنا
وعروشنا قصب
في كل مئذنة
حاوٍ، ومغتصب
يدعو لأندلس
إن حوصرت حلب

الأدب الغربي

ولعل حلب واحدة من المدن النادرة القليلة التي وصلت إلى الأدب الغربي، حيث وردت في مسرحيتي «ماكبث، وعطيل» فترة الاحتلال العثماني، وأبدى وليام شكسبير انتقاده لهذا الاحتلال، فيقول شكسبير في مسرحية «عطيل»:

دموعا سراعا كما تدر أشجار العرب
صمغها الشافي هذا دونوه
وقولوا أيضاً أنني ذات مرة في حلب
حيث هوى تركي شرير معمم
على بندقي بالضرب وأهان الدولة
أمسكت بالكلب من عنقه
وضربته هكذا «يطعن نفسه»

وفي حلب، بدأت أغاثا كريستي بكتابة أهم رواياتها: «جريمة في القطار السريع»، في فندق البارون، عام ١٩٣٥، والتي أوردت بها حلب، قائلة: «يجب أن تكون هنا حلب، مكاناً خفيف الإضاءة بأصوات مزعجة باللغة العربية».

ابن بطوطة

الرحالة والمؤرخ والقاضي وابن طنجة المغربية ابن بطوطة فقال بعد زيارته لحلب في القرن الثالث عشر: «حلب من أعز البلاد التي لا نظير لها في حسن الوضع وإتقان الترتيب واتساع الأسواق وانتظام بعضها ببعض، وأسواقها مسقفة بالخشب، فأهلها دائماً في ظل ممدود وقيثارتها التي لا تماثل حسناً وكبراً وهي تحيط بمسجدها، وهي من المدن التي تصلح للخلافة».

المختار من تراث الجاحظ وأبي حيّان التوحيديّ

كتاب في بابه الأول يجمع مؤلفات من ثمرات العقول في حلقات أربع

سوسن صيداوي

صدر عن الهيئة العامة السورية للكتاب، في الجزء الأول من سلسلة ثمرات العقول، المؤلف (المختار من تراث الجاحظ وأبي حيان التوحيدي) لكاتبه د. محمود أحمد السيد بواقع مئة وخمسين صفحة وبمحتوى أربع حلقات لمختارات من تراث الجاحظ وأبي حيان التوحيدي ضمن سلسلة لخدمة الناشئة حتى يتعرفوا بعضاً مما خلفه لنا الآباء والأجداد من فكَر بناءة في ميادين المعرفة، متابعاً في أهمّية اللغة العربية وضرورة القراءة: إن البرامج التي تنقلها هذه الأجهزة فيه الغث والسمين، ومن الملاحظ أن اللغة في هذه البرامج ليست هي اللغة العربية الفصحى في الأعم الأغلب، وإنما هي لغة فيسبوكية وهجين لغوي يتمثل في الكتابة بالأحرف اللاتينية واستخدام العامية ووضع أرقام بديل بعض الأحرف العربية واستشراء ظاهرة العربيزي والفرانكوآراب.

وتبقى لقراءة الكتب المصوغة بالعربية الفصيحة أهميتها في الحفاظ على العربية والتمكين لها. ومن الحلقات الأربع نقف -على سبيل الذكر- عند كتاب الحيوان للجاحظ وكتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي.

من كتب الجاحظ

ألّف الجاحظ كتباً كثيرة في مختلف ميادين المعرفة، إذ إن ثقافته الموسوعية انعكست في مؤلفاته كافة، وقد قال المسعودي (ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه)، وسرد ابن النديم كتبه وهي مئة ونيف وسبعون كتاباً، وأثبت ياقوت الحموي في معجم الأدباء مئة وثمانية وعشرين مصنفا منها، ويتابع هنا د. السيّد: «لم يكن همّ الجاحظ في مؤلفاته الجمع بين الرواية والحفظ والجمع، وإنما كان يبتكر ويُطرف ويخلق للناس بديعاً ويجمع بين الدعابة والهزل ويشيع الفكاهة في أثناء الكلام، فجمع بذلك قلوب القارئين إليه، واستولى منهم بذلك على شتى ميولهم إلى ما يكتب».

في كتاب الحيوان

لابد من الإشارة إلى أن كتاب الحيوان لم يكن الجاحظ الأول في هذا المجال، إن هناك كتباً كثيرة في علم الحيوان، وقد سبقنا اليونانيون بالتأليف بهذا العلم فهناك كتاب الحيوان لديمقراطيس، وآخر لأرسطوطاليس، وهذا الكتاب نقله ابن بطريق إلى العربية، وكذلك لأرسطو كتاب في نعت الحيوان غير الناطق، وفي العربية سبق الجاحظ مجموعة من العلماء أمثال: أبي حاتم، السجستاني، الأصمعي،

أبي عبيدة، والباهلي وغيرهم، لكن الجاحظ يختلف عنهم في التأليف في هذا الميدان وبحسب عبد السلام ومحمد هارون (ينطق بين يديك بالقصد العلمي التفصيلي للحيوان، ولكل مملكة من ممالكه، ولكل جنس من أجناسه، وهو فضل للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممن كتب في الحيوان، وإن أعوزه بعض الترتيب والتهذيب فهو شأن كل كتابة جديدة، في أمر متشعب الأطراف ممدود النواحي. ولطالما اعتبر الجاحظ أن العرب والأعراب منهم خاصة قد ثقفوا معرفة الحيوان وبرعوا في ذلك واستوعبوا حاله ويتابع د. محمود السيّد هنا «والواقع من يقرأ كتاب الحيوان يلمس الجهد الكبير الذي بذله الجاحظ في إنجاز هذا الكتاب، ولعلنا نقدّر قيمة هذا الجهد الكبير إذا عرفنا أن الجاحظ كتب الحيوان بعد أن تقدمت به السن وأصيب بالفالج، وهو القائل: (إن من جانبي الأيسر مفلوج، فلو قُرض بالمقاريض ما علمت به، ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مرّ به الذباب لألمت)».

ويضيف في مكان آخر«الكتاب يعد ديواناً جمع الجاحظ فيه الصفوة المختارة من حر الشعر العربي ونادره، كما جمع قدرا من الأمثال ومجموعة من الأحاديث في البيان ونقد الكلام والشعر». ولفت مؤلفنا بأن الجاحظ في أسلوبه كان واقعياً حيث كان يورد الكلام كما ورد على لسان صاحبه وهذا ما يلاحظ في نوادر المجون تدل على غلبة هذا الجانب على كثير من متأدبي عصر الجاحظ التي لم يكن فيها حرج حينئذ ولا خشية.

وبالطبع يقع الكتاب في سبعة أجزاء، ذكر ذلك الجاحظ نفسه إذ يقول في الجزء السابع: «قد كتبنا من كتاب الحيوان ستة أجزاء، وهذا الكتاب السابع هو الذي ذكرنا فيه الفيل»، وحتى قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء: «كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء».

أبو حيان التوحيدي

ولد أبو حيان التوحيدي سنة ٣١٠ هـ في مكان مجهول في العراق أو فارس، وهو لم يكن في حياته محظوظاً بل نموذج حي للأديب البائس وقد ترك ستة وعشرين أثراً، وإذا كان الجاحظ قد ألّف كتاب الحيوان في آخر حياته، فأبو حيان ألف كتاب (البصائر والذخائر) في أول حياته الأدبية، حيث تأثر بأسلوب الجاحظ الواقعي، فهو ينسب الأقوال لأصحابها ويصور الظواهر كما رآها ويرد الأمور إلى مصادرها.

البصائر والذخائر

هدف التوحيدي من كتابه هذا هو تهذيبي وأخلاقي مجرد من المنافع الدنيوية فهو يقول: «فصرّف فهمك ونغّم بالك في طرف الحديث وملّح النوادر وشريف اللفظ ولطيف المعنى، فإن لك بذلك مزية عن نظرائك الذين أصبحوا متشاجرين على الدنيا في كسب الدوانيق وأصبحت أنت تلتمس موعظة تنتهي بها نفسك عن غرورها وتطلب فضيلة تتحلى بها بين سكان هالدنيا وتتحول بها إلى دار القرار».

ويختم هنا د. محمود السيّد بأن التوحيدي كان متواضعاً في منهجه وبأن مناهله هي بالمرتبة الأولى: القرآن الكريم وسنة رسول الله ورأي العين الجامع للصورة ولاعترافات الجمهور وشهادة الدهور وإقرار النفس... إلخ.